مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(تيطس ٣: ٨–١٥)

يا ولدي تيطُسُ صادِقةٌ هي الكَلِمةُ وإيَّاها أُريدُ أن تقرِّرَ حتَّى يهتمَّ الذين آمنوا باللهِ في القيامِ بالأعمالِ الحسنةِ. فهذهِ هيَ الأعمالُ الحسنَةُ والنافِعةُ* أمَّا المباحَثاتُ الهَذَيانيَّةُ والأنسابُ والخُصوماتُ والمماحكاتُ الناموسيَّةُ فاجتَنِبْها. فإنَّها غيرُ نافعةٍ وباطِلةٌ* ورجُل البِدعَةِ بعدَ الإنذارِ مرَّةً وأُخرى أعرِضْ عنهُ* عالِماً أنَّ مَن هو كذلك قدِ اعتَسفَ وهو في الخطيئةِ يقضي بنفسهِ على نفسِه* ومتى أرسلتُ إليكَ أرتِماسَ أو تيخيكوسَ فبادِرْ أن تأتيَني إلى نيكوبولِسَ لأنّي قد عزمتُ أن أُشتِّيَ هناك* أمَّا زيناسُ معلِّمُ الناموسِ وأبُلُّوسُ فاجتَهِدْ في تشييعِهما متأهّبين لئلاَّ يُعوزَهما شيءٌ* وليتعلَّمْ ذوونا أن يقوموا بالأعمالِ الصالحةِ للحاجاتِ

النبي هوشع

تعيّد الكنيسة المقدّسة للنبي هوشع في السابع عشر من شهر تشرين الأول، وهو أحد الأنبياء المعروفين بالأنبياء الصغار، وكتاب نبوءته هو الأول في سلسلة هؤلاء الأنبياء. يتألف كتاب نبوءة هوشع من أربعة عشر إصحاحاً، وتشكّل الإصحاحات الثلاث الأولى منه مقدّمة لهذه النبوءة التي تحوي، من جهة، إعلان دينونة على شعب إسرائيل لأنّهم تركوا الله وتبعوا آلهة غريبة واستعانوا بالقوى الأجنبية لمساندتهم، وإعلان رحمة من جهة أخرى.

تُعتبر تعابير النبي هوشع في وصف ارتداد الشعب عن الله من أقسى التعابير وأعنفها. فهو يستعمل صورة الزنى ليعبّر عن ابتعاد الشعب عن الله: «أوَّلَ ما كلَّم الربُّ هوشعَ قال الربُّ لهوشعَ اذهَبْ خُذْ لنفسِكَ امرأةَ زنًى وأولادَ زنًى لأنَّ الأرضَ قد زَنَتْ زنًى تاركَةً الربَّ» (١: ٢) ويستعمل صوراً قوية ليعبّر عن طريقة تعاطي الله مع الشعب الزاني حتى يعود إليه: «حاكموا أُمَّكُم حاكموا لأنَّها ليست امرأتي وأنا لستُ رَجُلَها لكي تعزِلَ زناها عن وجهِها وفِسْقَها من بين ثَدْيَيْها، لئلاَّ أُجَرِّدَها عُرْيانَةً وأوقفَها كيومِ ولادَتِها وأجعَلَها كقَفْرٍ وأُصَيِّرَها كأرضٍ يابسةٍ وأُميتَها بالعَطَشِ ولا أرحَمُ أولادَها لأنَّهم أولادُ زِنًى» (٢: ٢–٤)، «والآنَ أكشِفُ عَوْرَتَها أمامَ عُيونِ مُحبِّيها ولا يُنقِذُها أحَدٌ من يدي» (٢: ١٠).

لقد كانت صورة الزنى في العهد القديم التعبير الأمثل عن الابتعاد عن الله والالتصاق بآلهة أخرى. وهذه الصورة تنطبع في ذهننا حتى يومنا الحاضر. فبالرغم من انفتاح بعض المجتمعات على الأمور الجنسيّة وبالرغم من تفتّت العائلة وعدم ثبات الرابطة الزوجيّة، ظلّ الزنى العقبة الأساسيّة التي تؤول إلى تفكّك الزواج. وفي حين أن العلاقة الجنسيّة هي التعبير الأسمى عن محبّة الزوج والزوجة في الحياة الزوجيّة، وهي التعبير الأساسي عن اتحاد المرأة

العدد ٢٠٠٩/٤١

الأحد ١١ تشرين الأول

أحد آباء المجمع المسكوني السابع

تذكار القديس الرسول فيلبس أحد الشمامسة السبعة

وأبينا ثاوفانس الموسوم اللحن الأول

إنجيل السَحَر السابع

الضروريَّة حتى لا يكونوا غيرَ مثمِرين* يسلِّمُ عليكَ جميعُ الذينَ معي* سلِّمْ على الذين يُحبُّوننا في الإيمان. النعمةُ معَكم أجمعين. آمين.

الإنجيل

(متى ٥: ٤ ١-١٩)

قال الربُّ لتلاميذهِ أنتم نورُ العالَم. لا يمكنُ أن تَخْفى مدينةٌ واقعةٌ على جبل* ولا يُوقَد سِراجٌ ويوضَعُ تحتَ المكيال لكن على المنارة ليُضيءَ لجميع الذين في البيت* هكذا فليُضئ نورُكم قدَّام الناس ليرَوا أعمالَكم الصالحةَ ويُمجِّدوا أباكم الذي في السموات* لا تَظُنُّوا أنّي أتيتُ لأحُلَّ الناموسَ والأنبياءَ، إنّي لم آتِ لأحُلَّ لكن لأُتمّم* الحقَّ أقول لكم إنَّه إلى أن تزولَ السماءُ والأرضُ لا يزولُ حَرْفٌ واحدٌ أو نُقْطَةٌ واحِدةٌ من الناموس حتى يَتِمَّ الكلُّ* فكلُّ مَن يَحلُّ واحدةً من هذه الوصايا الصغارِ ويُعلِّمُ الناسَ هكذا، فإنَّه يُدعى صغيراً في ملكوتِ السموات. وأمَّا الذي يعمَلُ ويُعلّمُ فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات.

برجلها، فالزنى هو أن يقيم الرجل المتزوّج أو المرأة المتزوّجة علاقة جنسيّة مع غير الشريك الزوجي ظنًّا من الزوج (الرجل أو المرأة) أنّه يجد مبتغاه العاطفي في هذا الشخص الذي يزني معه. وهذا الأمر طبّقه الأنبياء، وأهمّهم هوشع، على العلاقة مع الله، إذ إنّ محبّة الله للبشر هي محبّة خلاّقة فيها حياة (خلق الله الإنسانَ بدافع من محبّته)، وهي محبّة اتّحادية، يرغب فيها الله أن يشركنا معه في محبته اللامتناهية، التي أدت به إلى أن يبذل ابنه الوحيد حتى لا يهلك كل مَن يؤمن به بل تكون له حياة أبدية (يو ٣: ١٦). غير أنّ الإنسان لم يدرك محبّة الله هذه له، ولم يدرك أن مصدر حياته الوحيد هو الله، لأنّه لم يعرفه حقّ المعرفة، لذلك لم يبادل الإنسانُ الله هذه المحبّة، وسعى إلى آلهة أخرى ظنًّا منه أنّها هي مصدر حياته.

المشكلة إذاً هي عدم المعرفة، أي عدم معرفة الله، وهذا ما أشار إليه هوشع مباشرة في كتابه حين صوّر شعبه بالزانية التي تسعى وراء محبّيها ظانّةً أنّهم هم الذين يعطونها المأكل والمشرب ولم تعرف أنّ الله هو الذي كان يعطيها إيّاهما: «لأنَّ أُمَّهُم قد زَنَتْ... لأنَّها قالت أَذْهَبُ وراءَ مُحبِّيَّ الذين يُعطُون خُبزي ومائي، صُوفي وكَتَّاني، زَيتي وأشرِبَتي... وهي لم تَعْرِفْ أنّي أنا أعطَيْتُها القَمْحَ والمِسْطارَ والزيتَ وكَثَّرْتُ لها فضَّةً وذَهَباً جَعَلوهُ لِبَعْل» (٢: ٥-٨).

لقد أرسل اللهُ أنبياءه ورسله للناس ليعرفوا الله وليعودوا إليه، ولكن عندما كانت تبوء محاولاتهم بالفشل، أي عندما كان الناس يُعرضون عن معرفة الله، غير سامعين لكلمته، كان الله يتدخل مباشرة ليردّهم إليه، لأنّه يحبّهم. وغالباً ما كان تدخّله هذا قاسياً. فقد يحرم الإنسان من جميع متطلّبات عيشه ويغلق عليه كلّ الطرق، ما عدا طريق الرجوع إليه، عندئذ يرى الإنسان أنّ لا خلاص له إلاّ بالرجوع إلى الله: «لذلك هأنذا أُسيِّجُ طريقَكَ بالشوكِ وأبني حائِطَها حتى لا تَجِدَ مسالِكَها، فتَتْبَعُ مُحبِّيها ولا تُدْرِكُهُم وتُفتِّشُ عليهم ولا تجِدُهُم. فتقولُ أَذْهَبُ وأَرْجِعُ إلى رَجُلي الأَوَّلِ لأنَّهُ حينئذٍ كان خَيرٌ لي منَ الآنَ» (٢: ٦-٧)، «لذلك أَرْجِع وآخُذُ قَمحي في حينِهِ ومِسطاري في وقتِهِ وأَنْزِعُ صُوفي وكَتَّاني اللذَيْنِ لِسَتْرِ عَوْرَتِها. والآنَ أكشِفُ عَورَتَها أمامَ عُيونِ مُحبِّيها ولا يُنقِذُها أحَدٌ مِن يدي» (٢: ٩-١٠).

عندما يصل الإنسان إلى مرحلة الحرمان، ويصل إلى شفير الموت، يقف الله أمامه ليريه أنّه هو وحده مصدر حياته فيعيده إليه معيداً له كلّ خيراته: «لكن هأنذا أتَمَلَّقُها وأذهَبُ بها إلى البرِّيَّةِ (أي الصحراء التي لا حياة فيها) وأُلاطِفُها، وأُعْطِيها كُرومَها مِن هناكَ... ويكونُ في ذلكَ اليومِ يقولُ الربُّ إنَّكِ تدعينَني رَجُلي ولا تَدْعينَني بعدُ بَعلي. وأَنْزِعُ أسماءَ البَعليمِ من فَمِها فلا تُذكَرُ أيضاً بأسمائِها... وأَخْطُبُكِ لنفسي إلى الأبدِ وأخطُبُكِ لنفسي بالعدلِ والحقِّ والإحسانِ والمراحِمِ، أخطُبُكِ لنفسي بالأمانَةِ فتعرِفينَ

تأمل

«أمّا الذي يعمَلُ ويُعلّمُ فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات».

الذين يطلبون الكنوز السمويَّة تتفاوت نتائجهم. لأنك ترى بعضهم مجتهدين في القراءة والمجادلات والبحث في الكتب الغريبة ولا يعملون بشيءٍ من ثمرات علومهم. وآخرين يتمسَّكون بكلمةٍ قصيرة اللفظ كثيرة الفوائد ويضبطونها ويحافظون على العمل بها فَيَرِثون بواسطتها حياة الأبد ويشابهون الذي ظفر بالدُّرة الكريمة وفضَّلها على الأموال والأملاك والمتاجر. وإذ قد عرفنا قدر هذه المواهب الفاضلة فلنبذل الجهد في نصح الأقارب والأباعد وانتشالهم من وهدة المعاصي وتحريضهم دائماً على الإعتناء بخلاص نفوسهم والهرب من التعلُّق في الأباطيل العالمية. لأنه إذا كان عدوُّنا لا ينام فكيف لا نواظب على السهر ونحذر من الكسل ونتيَّقظ من الغفلة حاملين سلاح إيماننا. وإذا كان جهادنا كما قال الرسول ليس مع لحمٍ ودمٍ بل مع الأرواح الخبيثة فكيف ينبغي لنا أن نُعِدَّ لهذه المعركة الربَّ» (٢: ١٤–٢٠).

يدعونا الرب إذاً في سِفْر هوشع أن نرجع إليه ونعرفه، حتى نحيا معه فنكون على مثاله، فنعيش بالعدل والحق والإحسان والمراحم: «هلُمَّ نرجعُ إلى الربِّ لأنَّه هو افترَسَ فيشفينا، ضرَبَ فَيَجبِرُنا، يُحيينا بعدَ يومَين، في اليوم الثالثِ يُقيمُنا فنحيا أمامَهُ. لِنعرِفْ فَلِنَتَتَبَّعْ لِنعرِفْ الربَّ... أُريدُ رَحمةً لا ذَبيحةً، ومعرِفةَ اللهِ أكثَرَ مِن مُحْرَقاتٍ» (٦: ١–٦).

قد يظن البعض أنّه ليس هناك آلهة غير الله، وهذا صحيح فعلاً، ولكنّ الإنسان قادر أن يخلق في عقله آلهةً لا تُعدّ ولا تُحصى. هذا ما فعله الإنسان قديماً وجسّده معطياً هذه الآلهة صوراً جسميّة كالبعل وعشتاروت وميترا وأبولو... واليوم، وإن كان لا يعبد آلهة مثل تلك الآلهة، إلا انه استعاض عنها بآلهة فكريّة، فألّه الإنسان والمال مثلاً.

من هذا المنطلق يُخاطبنا اليوم النبي هوشع من خلال نبوءته، محذّراً إيّانا من خطورة أن نصير زناةً تجاه الله، ويدعونا إلى الرجوع إليه، وإلى معرفته حتى يرحمنا ويدعونا شعبه: «ويكونُ في ذلكَ اليوم أنّي أستَجيبُ يقولُ الربُّ... وأزرَعُها لنفسي في الأرضِ وأرحَمُ لُورُحامَةَ (لا رحمة) وأقولُ لِلُوعَمِّي (ليس شعبي) أنت شعبي، وهو يقولُ أنت إلهي» (٢: ٢١–٢٣).

الصداقة

«الصديق الأمين لا يعادله شيء» (سيراخ ٦: ١٥، ٧: ١٨) لأنّه «يُحبُّ في كُلِّ وقتٍ» (أمثال ١٧: ١٧) فتصير الحياة بَهجَة على يديه (أمثال ١٥: ١٧). كيف ننسى الصداقة العفوية القوية التي ربطت بين داود ويوناثان (١ صمو ١٨: ١–٤) والتي استمرّت في أيام المحنة (١ صمو ١٩و ٢٠) وحتى الموت (٢ صمو ١:٢٥) ثم بقيت خالدة في ذاكرة القلب (٢ صمو ١:٩، ٢١: ٧)؟

لكن، في حين تتوطّد صداقات من هذا النوع، فإنّ صداقات أخرى لا تدوم. فلماذا يكثر الأصدقاء حول الأغنياء وأصحاب النفوذ، بينما يقلّ عددهم قرب الفقراء والمرضى؟ (أمثال ١٤: ٢٠، مز ٥٥: ١٢–١٤، ١٠٩: ٤، أيوب ١٩: ١٩)، ولماذا «رجل سلامتي الذي وَثِقْتُ به آكِلُ خُبزي رَفَعَ عليَّ عَقِبَهُ» (مز ٤١: ٩)؟ هذه التجارب المريرة تعلّم المرء أن يكون ثاقب النظر في اختيار أصدقائه، حتى أنّه ينبغي الاحتراس أحياناً (سيراخ ٦: ٥–١٣، ١٢: ٨ إلى ١٣: ٢٣، ٣٧: ١–٥). ويمكن للصداقة، حتى وإن كانت مخلصة (أيوب ٢: ١١–١٣) أن تؤدّي إلى خيبة أمل وإلى الإنزلاق نحو الشرّ (تثنية ١٣: ٦، ٢ صمو ١٣: ٣–١٥).

من الواضح أيضاً أنّ الصداقة تزداد مناعة عندما تشيخ، إذ إنّ «الصديق الحديث خمرٌ جديدة، إذا عتقت لذّ لك شربُها» (سيراخ ٩: ١٠). إنّها تستطيب التوبيخ المباشر (أمثال ٢٧: ٥)، وتقتات بوجه خاص من مخافة الله: «من يتّقِ الربّ يحصل على صداقة صالحة، لأنّ صديقه يكون نظيره» (سيراخ

أسلحةً تلائمها. فإنه كما ان الذين يحاربون الأجسام اللحميَّة يسعون إلى اتخاذ الأسلحة الملائمة لها كالسيوف والرماح والسهام، يجب على الذين يحاربون الأرواح الشريرة أن يتخذوا الأسلحة الملائمة لها. فإن قلت وما هي هذه الأسلحة أجبتك هي الصوم النقيُّ والصلاة الخاشعة والتواضع والرحمة وبقيَّة أنواع الفضائل. واسمع قول الرسول كيف يوضح هذه الأسلحة بقولِه ضعوا على رؤوسكم خوذة الخلاص، وخذوا بأيديكم ترس الإيمان، وتمنطقوا بمناطق الحقّ، واتخذوا سيف الروح، واحذوا أرجلكم ببشرى السلام والبسوا جميع سلاح الله. وبكل صلاةٍ وبكل طلبةٍ تتضرَّعون في كل وقتٍ لكي تقدروا على مقاومة حِيَلِ الشيطان وخداعه. فإذا تسلحنا بهذه الأسلحة المنيعة لا نهرب من القتال ولا نخاف من المعركة لكن ننهض من نومنا ونجتهد في قتال أعدائنا ونحصّن ذواتنا لنفوز بالغلبة قاهرين مسرورين بنعمة ربنا وإلهنا يسوع المسيح له المجد إلى الأبد.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٦: ١٦). وفي الواقع تجد الصداقة الحقيقيّة نموذجاً لها ومنبعاً في الصداقة التي يوطّدها الله مع الإنسان: مع إبرهيم (إشعيا ٤١: ٨)، ومع موسى (خروج ٣٣: ١١)، ومع الأنبياء (عاموس ٣: ٧).

الربّ يسوع بدوره أعطى للصداقة وجهاً حسيًّا، فقد أظهر عاطفته تجاه لعازر (يو ١١: ٣ و١١: ٣٥-٣٦). لقد كان له «رفاق» قاسموه عيشته (مرقس ٣: ١٤)، لكنّهم لم يصبحوا كلّهم «أصدقاءه» (باليونانيّة Philos). فيهوذا لم يُسَمَّ إلاّ «رفيقاً» (باليونانيّة Hetairos) (متى ٢٦: ٥٠، ٢٠: ١٣، ٢٢: ١٢)، في حين أعلن لبقيّة التلاميذ: «لا أعودُ أُسمِّيكم عبيداً... لكنّي قد سمَّيتكم أحبَّاءَ» (يو ١٥: ١٥).

في أيامنا الحاضرة، يصعب على الكثيرين إيجاد إنسان يدعونه «صديقاً»، فلا نسمع إلاّ بالخصومات والعداوات التي تبدأ بين شخصين اعتبرا أنّ ما يجمعهما صداقة، لكنّ هذا الرابط لا يثبت أمام عاصفة تمرّ يكون سببها إمّا الغيرة أو النميمة أو أشخاص آخرون يشعرون بالقلق من ثبات علاقة هذين الشخصين. هناك أيضاً مَنْ يخاف من خسارة صديق له بسبب صداقة جديدة أقامها هذا الصديق مع إنسان آخر، فيسعى إلى نسف هذه الصداقة الجديدة، وهذا لا يعبِّر سوى عن أنانية مفرطة.

إنّ الصداقة لا تقوم على قوانين تحدّد صورتها، إنّما تقوم فقط على قانون المحبّة الصادقة التي تتأنّى وترفق ولا تحسد ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتدّ ولا تظنّ السوء وتحتمل كلّ شيء وتصدّق كلّ شيء وتصبر على كلّ شيء (١ كو ١٣: ٤-٧). لا شيء يمكنه أن يزعزع صداقةً قائمة على هذه المحبّة.

من الطبيعي أن يدخل الشيطان في وسط علاقة ثابتة محاولاً تحطيمها، إلاّ أنّه سيعود خازياً إذاً كانت المحبة موجودة، لأن «المحبَّةُ التي لا تسقُطُ أبداً» (١ كو ١٣: ٨)، والمقصود هنا المحبّة المسيحيّة الحقّة التي أساسها الأوّل محبّة الله، هي التي تربط هذه العلاقة.

ثمّة قول شهير مفاده أنْ لا صداقة دائمة إنّما هناك مصلحة دائمة. ربما يكون هذا صحيحاً في مجتمع تجاري، لكنّه بعيد كلّ البعد عن المسيحيّة. صحيح أنّه يمكن للصداقات أن تصبح عداوات والعكس صحيح، لكن يجب ألاّ نتعامل مع الآخر على أساس المصلحة، إلاّ إذا كانت هذه المصلحة تقتضي وصول الطرفين معاً إلى ملكوت الله. لذلك علينا ألاّ نضع الأفكار المسبقة في رؤوسنا قبل الخوض في الصداقات، وألاّ نصادق أحداً من أجل مصلحة أرضيّة أو منصب أرضي. فلتكن الصداقة مدرسةً للمحبّة اللامحدودة على مثال محبّة الآب لنا، ولتكن عيشاً لفرح الملكوت على الأرض، لا سبباً للغمّ والكآبة واليأس.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb